الأهرام
١٩٩٨/٤/١٩

وجهة نظر

كلنا «متيمون» بأم كلثوم!

كلما سمعنا صوتها الشادى العبقرى وكلما جاء ذكرها الأسر العاطر سرت النشوة فينا وتمثل لنا الفن البديع والفن نعيشه من جديد فى كنفها على أوتار انغامها التى هى هبة عظمى وعطاء كريم من لدن الله اللطيف الخبير.. والجميل - عز وجل - الذى يحب الجمال، إنها سيدة الغناء العربى على مدى العصور أم كلثوم وما أدراك ما هى فى أسماع ووجدان جيلنا وما قبلنا وما بعدنا رغم كل المتغيرات ورغم ما يظن من طغيان «العملة الرديئة» بكل جوانبها الشوهاء فى الكلمة واللحن والأداء إلا قليلا! إذن فهذا العام - ١٩٩٨ - هو العيد المئوى لميلاد عزيزتنا العظيمة أم كلثوم، ومن حقها أن نحتفى بها وفاء وتقديراً لمن أسعدتنا وتفردت بشخصها وحضورها وأغانيها الخالدة. وقد شهد لها العالم أجمع بأنها ظاهرة شجية لا تتكرر وقدم عنها الأبحاث والتحليل والكتب والأفلام كواحدة من «زعيمات» القرن العشرين! إنها «الملاذ» لنا فى أعيادنا ومناسباتنا القومية والدينية والعاطفية والوصفية وكل ما على الخاطر. وفى اسبوعين متتاليين حضرت حفلتى زفاف فى أحد الفنادق الكبرى، وكان البون شاسعا فى المقارنة «الغنائية» بالذات بينهما. ففى الأولى فرقة خاصة من الموسيقى العربية شدت مطربتها بأغنيتين رائعتين «وصعبتين» من تراث أم كلثوم ومن تلحين الموهوب بليغ حمدى هما «حكم علينا الزمان» و «بعيد عنك حياتى عذاب». وحدث ولا حرج عن الطرب الذى أشاعته هاتان الأغنيتان. أما الحفلة الثانية فقد أحياها - وحده - أحدث مشاهير مطربى الشباب من فئة الـ ٣٥ الف جنيه فى الليلة! وعلى اجتهاده وشعبيته فإن أغانيه «تدخل من هنا وتخرج من هنا!» وتجعل القاهمين يتحسرون على المغنى الاصيل عامة وأم كلثوم خاصة. والذى دفعنى للحديث عن أم كلثوم هنا - وإن كنت فى مجال الفن لا أمل الحديث عنها وعن عبد الوهاب وعبد الحليم - وهو مقال للكاتب الناقد الكبير والأخ العزيز الدكتور على الراعى منذ أيام فى الأهرام بعنوان رسالة عتاب من مستمع متيم بفن أم كلثوم والرسالة والمقال ممتعان للغاية .

واسترعى انتباهى ما ذكره «المستمع» عن أغنية النبع (طاب النسيم العليل) من تلحين القصبجى .. وكيف أنها تحفة فنية ومفخرة وأنها الأغنية المفضلة لكاتبنا العالمى نجيب محفوظ وتذكرت يوم زارتنى فى الجمهورية أم كلثوم سنة ١٩٧٤ للترويج لمشروعها الخيرى وكيف أننى فى حديثى معها نوهت بالذات بأغنية النبع وقلت كأنها زغرودة ملائكية ومن حظنا وحظ أم كلثوم كون مجموعة كتاب الأغانى والملحنين الذين تفانوا فى العمل عمالقة لا يتكررون. كيف ننسى القصبجى وزكريا أحمد بسلطنته» ومقاماته الحلوة ابتداء من «امتى الهوى يجى سوا» إلى «هو صحيح الهوى غلاب»؟ أما السنباطى فيكفى أن أبدع وأشهر ما غنت أم كلثوم من أغان وقصائد هى من تلحين السنباطى ثم جاء موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب ليطوع فنها للأجيال الشابة على أن «الشبان» الوافدين عليها فى طريق عمرها جعلوه ربيعا وهم الملحنون النابغون بليغ حمدى ومحمد الموجى وكمال الطويل، ولست أدرى أيهم أفضل وإن كنت انحاز للموجى فى مجموعة ألحانه التى تخلب الألباب لها ولغيرها، الحديث عن أم كلثوم «يفتح الشهية» ولا ينتهى. وحسبى أن واحدة من أجمل وأبلغ المقالات التى كتبها الراحل أحمد بهاء الدين فى آخر ساعة كانت عن أم كلثوم بشهاداتها وشهادته! كذلك مجموعة مقالات الدكتورة نعمات أحمد فؤاد عنها حقا.. كلنا متيمون بفن أم كلثوم الذى لا ينضب معينه..

مصطفى بهجت بدوى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية